كثر هم التونسيون الذين ما زالوا يتمسّكون بحِرفٍ توارثتها الأجيال في عائلاتهم أو مناطقهم. ويُعَدّ أحمد رخيص واحداً من هؤلاء، فهو يحوّل خشب الأشجار إلى أوانٍ مطبخية

احمد رخيص في ورشته المتواضعة في محافظة جندوبة التونسية (العربي الجديد)

أحمد رخيص

تونسي يحوّل الأشجار إلى أوانٍ خشبية

تونس ـ **مريم الناصري**

في مرتفعات مدينة عين دراهم، الواقعة في محافظة جندوبة شمال غربيّ تونس عند الحدود مع الجزائر، حيث المسالك وعرة والظروف الطبيعية قاسية، اختار التونسي أحمد رخيص إنشاء ورشته الصغيرة لإنجاز مشروع نحت خشب الأشجار وصقله بهدف صناعة أوانٍ وأدوات مطبخية وقطع فنية للديكور، علماً أنّ هذه حرفة مشهورة تتوارثها الأجيال في هذه المنطقة. وعلى الرغم من قساوة العيش، لم يعمد أحمد إلى النزوح من المنطقة، ولا الانتقال مع عائلته للسكن في إحدى المدن، بل اختار البقاء في بيئة تزخر بالثروات الطبيعية، خصوصاً أشجار الصنوبر والفلّين والبلوط أو الفرنان وغيرها. وقد أقام رخيص ورشته المتواضعة في كوخ صغير شُيّد من حجارة والآجرّ، فيما السقف خشبي، وبالتالي لا يردّ عنه قسوة البرد ولا يمنع تسرّب مياه الأمطار، فيما يغطّي الطين أرضيته وتغمرها مياه الأمطار في فصل الشتاء.

ويتشبّث الرجل التونسي بصناعة الأواني الخشبية التي تتوزّع في كلّ أنحاء البلاد، نظراً إلى الإقبال الكبير الذي تشهده. فالنساء في تونس كنّ وما زلنَ يُقبلنَ على شراء أوانٍ وأدوات خشبية يحتجنَ إليها في المطبخ، من قبيل الملاعق والكؤوس والفناجين والأوعية الخشبية الكبيرة. كذلك صارت الأواني والمستلزمات الأخرى المصنوعة من الخشب تزيّن المطابخ وغرف الطعام في البيوت والنزل والمطاعم، بعدما صار الحرفيون بمعظمهم يتفنّنون في صنعها وزخرفتها وصقلها من مختلف أنواع خشب الأشجار، وخصوصاً أشجار الزيتون. ونجد فناجين قهوة وأطباقاً وقوارير حفظ الزيت وملاعق، فهذه الأدوات والأواني التي كانت معتمَدة في الماضي، قبل الأواني الفخارية والمعدنية، تلجأ إليها التونسيات في كلّ محافظات البلاد، وهي متوافرة في الأسواق والمعارض. وتُعَدّ صناعة الأواني الخشبية في تونس حرفة قديمة جداً انتشرت في البداية بمحافظة جندوبة، قبل أن تمتدّ إلى قرى ومدن تونسية عدّة. وما زال حرفيون يتمسّكون بهذه الصناعة، إذ إنّهم توارثوها من جهة، ومن جهة أخرى لأنّ منتجاتها تنتشر في الأسواق التونسية وفي الخارج، ولا سيّما تلك المصنوعة من خشب الزيتون. ويؤكد أحمد رخيص أنّ إنتاجه يلقى، في العادة، إقبالاً في الأسواق، من دون تعقيدات في الترويج، سواء في المحافظة أو في مناطق أخرى شارك في معارضها المخصّصة للمنتجات التقليدية الوطنية. ويخبر رخيص أنّه يعمد بداية إلى صقل القطعة الخشبية لصنع المهراس المستخدَم في طحن التوابل، أو فناجين القهوة ذات الأحجام المختلفة أو الملاعق. بعد ذلك، يرطّب القطعة ويفركها لتصير ملساء جداً، ثمّ يطليها بالزيت المخصّص للخشب من أجل تشكيل طبقة تمنع تسرّب المياه منها أو امتصاص القطعة الخشبية المياه أو أيّ سائل آخر يوضَع فيها. ثمّ يضع رخيص القطع المصنوعة في الظلّ، بعيداً عن أشعّة الشمس، لتجفّ من دون أيّ تشقّقات. ويشير إلى أنّ كلّ قطعة تستلزم وقتاً معيّناً، ويرتبط ذلك بحجمها وشكلها وما تحتاج إليه من تفاصيل. ويستخدم رخيص في حرفته خشب أشجار الصنوبر والزيتون خصوصاً، مبيّناً أنّه يجب على الحرفي أن يكون ملمّاً بأنواع الخشب وميزة كلّ نوع منها، وكذلك بالأشجار التي يُستخرَج منها، إذ إنّ صلابة كلّ قطعة خشبية تختلف بحسب الشجرة. ويشرح أنّ من بينها ما يتحمّل درجة حرارة عالية، أو ما يتأثر بأيّ رطوبة عالية، مشيراً إلى أنّ «أفضل أنواع الخشب هو خشب أشجار الزيتون الذي تُصنَّع منه أنواع عديدة من الأواني الخشبية ذات الجودة العالية، ويُباع عدد منها بأسعار تتجاوز 50 دولاراً أميركياً للقطعة الواحدة». ويتابع رخيص أنّ «تلك الأواني تُستخدَم للأكل والشرب، فيما تُستخدَم قطع أخرى للعرض فقط في المطبخ أو المنزل عموماً». ويخبر الحرفي التونسي أنّه حصل على قرض لإطلاق مشروعه، آملاً أن يعمل معه عدد من أبناء الجهة الذين يرغبون في تعلّم هذه الحرفة، خصوصاً أنّها سهلة ولا تتطلب تدريباً كبيراً. ويشير رخيص إلى أنّ ثمّة من يظنّ أنّ الحصول على الخشب أمر سهل وفي المتناول، أو أنّ الثمن بسيط، لكنّ الأمر ليس كذلك. ولا يخفي أنّه يواجه اليوم عوائق للحصول على المواد الطبيعية بسبب منع قطع الأشجار، أو حتى الحصول على ما تخلّفه الحرائق في غابات المنطقة، بالإضافة إلى افتقار الجهة حيث يعيش إلى أشجار الزيتون، وهذا ما يضطره إلى الانتقال إلى مناطق أخرى للحصول على خشب الزيتون الخام.

باختصار

يتشبّث أحمد رخيص بصناعة الأواني الخشبية التي تتوزّع في كلّ أنحاء البلاد، نظراً إلى الإقبال الكبير الذي تعرفه

■■■

تزيّن الأواني الخشبية المطابخ وغرف الطعام في البيوت والنزل والمطاعم، بعدما صار معظم الحرفيين يتفنّنون في صنعها

■■■

صناعة الأواني الخشبية في تونس حرفة قديمة جداً انتشرت بداية في محافظة جندوبة، قبل أن تمتدّ إلى قرى ومدن تونسية عدّة

وأخيراً

كتابٌ واحدٌ يكفي

نجوى بركات

كتب الروائي جورج يرق، على صفحته في «فيسبوك»، الأسبوع الماضي، يقول: «الألماني إلياس كانيتي كتب رواية واحدة لا غير عنوانها (نار الله)، نال بها نوبل للآداب 1981، ثمّ طلّق الكتابة والانقطاع عن الناس والتحق بالحياة». فكّرتُ: كم هو جميل أن نكون كُتّابَ كتابٍ واحد نُذكر من خلاله، ونكون بإنجازه قد أتممنا مهمّتنا على هذه الأرض!

بيد أن كانيتي، الناطق بالألمانية، المولود في بلغاريا (1905)، والمُتَوَفّى في زيورخ (1994)، ليس صاحب كتاب أوحد، فله أعمال مسرحية عديدة وأبحاث ودراسات أدبية، وسواها، لكنّه بالفعل، صاحب رواية واحدة، ولستُ أدري إن كان قد نال بسببها بالذات جائزة نوبل، من دون النظر إلى أعماله الأخرى. نُشرت الرواية في فيينا عام 1935 تحت عنوان «Die Blendung» (العمى أو الانبهار)، فسارع النازيون إلى منعها، ثمّ تُرجمت إلى الفرنسية بعنوان «برج بابل» لتحظى بجائزة أفضل كتاب أجنبي، قبل أن تعيد دار غاليمار ترجمتها ونشرها تحت عنوان «أوتو دا في» في عام 1968. مرغريت ميتشيل لم تنشر إلا كتاباً واحداً هو «ذهب مع الريح». رغم محاولات محدودة سابقة في عالم الكتابة، إذ ألّفت في شبابها قصصاً قصيرةً ومسرحياتٍ، وكتبت في مجلة أتلانتا، إلا أنّها أجبرت على التقاعد لأسباب صحيّة وهي في السادسة والعشرين من عمرها. ولكي تشغل نفسها إثر كسر في الكاحل، وملل مميت، شرعت في كتابة تاريخ عائلتها وقصص الكونفدراليات خلال الحرب الأهلية، فاستغرقت الكتابة ثلاث سنوات (1926 - 1929)، تبعتها سبعة أعوام أخرى لتحرير الرواية، ووضع اللمسات الأخيرة عليها، قبل نشرها. حققت رواية «ذهب مع الريح» نجاحاً فورياً، فحازت جائزة بوليتزر المرموقة عام 1937، وتحوّلت فيلماً شهيراً، وترجمت إلى 27 لغة، وبيعت منها ملايين النسخ.

في نوع مختلف تماماً، هناك الفرنسي كوديرلو دو لاكلو، الذي كتب عشية الثورة الفرنسية كتاباً على شكل مراسلات محمومة ونارية، نشره تحت عنوان «علاقات خطرة»، طبعت منه 2000 نسخة بيعت خلال شهر واحد. بعد وفاته وانخراطه في العمل السياسي، اعتُبِرَ عمله هذا تُحفةً فنّيةً وجزءاً من التراث الأدبي الفرنسي تقرأه الأجيال المتتابعة إلى يومنا هذا. آلان فورنييه، أيضاً، لم تمهله الحرب العالمية الأولى التي التحق بها جندياً، فقُتِلَ في المعارك بعد نشر روايته الوحيدة «مولن الطويل» في 1913، وقد رُشّحت لجائزة غونكور، وترجمت إلى عدة لغات. أما الأميركي جي دي سالنجر، فقد أخرسه النجاح الأسطوري لروايته «الحارس في حقل الشوفان» (1952)، وهو في سنّ الـ32 عاماً، التي كانت تباع منها كلّ عام نحو 250 ألف نسخة، وانسحب على أثرها الكاتب من الحياة العامة، صمت كلّياً، وتوقف عن الكتابة والنشر (باستثناء بضع قصص قصيرة). ثمّة كتب رائعة أخرى لم يُنجب كُتّابها إخوة لها، مثل «مرتفعات وذرينغ» (1847)، لإميلي برونتي، التي تُوفّيَتْ وهي في الثلاثين إثر إصابتها بالسلّ، ورواية «أن تقتل عصفوراً ساخراً «(1960)، لنيللي هاربر لي (1926 - 2016)، التي حازت جائزة بوليتزر في 1961، وبيعت منها أكثر من 30 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم، أو رواية «المساعدة» لكاثرين ستوكيت، التي استوحت شخصية بطلتها من مدبّرة منزلها الأميركية السوداء. القائمة تطول، وقد خطر لي وأنا أطالع تلك الأسماء والعناوين اللامعة، وأقارنها بالكثرة الفادحة والضحلة التي تُنشر اليوم، كم سيكون جيداً أن تسنح للكُتّاب فرصة واحدة لا غير لنشر كتاب يُثبِتون من خلاله أنّهم فعلاً كُتّاب أي أنّهم موهوبون وضروريون وجديرون أن يُمنحوا حقّ النشر. كم سيفكّر الكاتب حينذاك! كم سيتأنّى ويتمهّل ويعمل ويجهد قبل أن يُقدّم أو يجرؤ على النشر! وكم ستنجو أشجارٌ بوقف هدر الورق على أعمالٍ أقل ما يقال فيها إنّها غير ضرورية أو ذات قيمة أدبية!

> جميل أن نكون كُتّابَ كتاب واحد نذكر من خلاله، ونكون بإنجازه قد أتممنا مُهمّتنا على هذه الأرض

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**